

يقول ﷻ تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) حقيقة يقررها القرآن، ويواجه بها الذين شرع قتالهم، وليس من المعقول أن يواجههم بها وهو يعمل على نقيضها. ويقول للرسول(صلى ﷻ عليه وآله وسلم): (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟).

وهذا أيضاً تقرير للحقيقة نفسها عند الرسول(صلى ﷻ عليه وآله وسلم) وإرشاد إلى أن ﷻ سبحانه وتعالى ترك الناس واختيارهم في الإيمان والكفر، وأنه لو شاء أن يكونوا جميعاً مؤمنين لخلقهم على طبيعة الإيمان بحيث لا يستطيعون أن ينخلعوا منه إلى الكفر.

ويقول في شأن فرعون حين أدركه الغرق فآمن: (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين؟) يريد أن هذا الإيمان الذي نطقت به في تلك الحال التي رأيت فيها ما رأيت من العذاب لا يعتد به ولا ينفعك، ولا يتقبله ﷻ وهو يدل على أن الإيمان المعتد به ما كان نابعاً من القلب. ويقول:(فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بما ءوحى وكرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة ﷻ التي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون). وهذه أيضاً آية صريحة في تقرير تلك الحقيقة وهي إهدار دعوى الإيمان تحت سلطان اليأس والقوة.

وكما نجد هذا في إهدار الإيمان تحت سلطان القهر والقوة نجد عكسه في القرآن أيضاً. تجد إهدار مظهر الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان. وفي ذلك يقول ﷻ عزوجل:  
(من كفر باء من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من ﷻ ولهم عذاب عظيم).

من هذا كله يتبين أن الإسلام يأبى أن يعترف بمظهر الإيمان الناشء عن القهر والإلجاء كما لا يعباً بمظهر الكفر تحت الضغط والإكراه مع اطمئنان القلب بالإيمان.

الرسول ليس مسئولاً عن الكافرين: